# معابر

مجلة دولية محكمة تصدر عن اللجنة الوطنية الجزائرية للتربية والعلم والثقافة بمشاركة
كرسي اليونسكو الأمير عبد القادر لحقوق الإنسان وثقافة السلام لجامعة الجزائر 1

**المجلد 3 العدد 1 ديسمبر 2016**

## عدد خاص بمناسبة إعلان المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم للمئوية السادسة لتأسيس مدرسة الشيخ الثعالبي (1413-2013):

# قلب قصبة الجزائر ومركز إشعاع ثقافي في المغرب العربي

**بمشاركة**

**جمعية سيدي عبد الرحمن الثعالبي لترقية التراث**

# اللجنة الوطنية الجزائرية للتربية والعلم والثقافة

Organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture
منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة

Commission nationale algérienne pour l'éducation, la science et la culture
اللجنة الوطنية الجزائرية للتربية والثقافة والعلوم

اللجنة الوطنية الجزائرية للتربية والعلم والثقافة المنشأة بموجب المرسوم رقم 126–63 المؤرخ في 18 أبريل 1963، والمرسوم رقم 187–66 المؤرخ في 21 جوان 1966 المعدل والمتمم بالمرسوم التنفيذي 16-67 المؤرخ في 16 فبراير 2016، مؤسسة حكومية مكلفة بإفادة الرأي العام بأهداف وبرامج وأعمال منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، قصد تطوير مثل التفاهم المتبادل بين الشعوب وتشجيع المبادرات الثقافية على المستوى الفكري والجهود التربوية، لاسيما في ميدان حقوق الإنسان واحترام التنوع الثقافي وحماية البيئة.

اللجنة الوطنية الجزائرية لليونسكو موضوعة تحت وصاية وزير التربية الوطنية الذي يرأسها، تضمّ جمعية عامة، ومكتب تنفيذي، وأمانة عامة يتولى إدارتها أمين عام، مكلف وفق المادة 21 من المرسوم 16-67 بإعداد التقرير العام للنشاطات الذي تقدمه الجزائر، بصفتها دولة عضو في المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو، واستدعاء الجمعية العامة للجنة، وتسيير أشغالها الإدارية والمالية.

# كرسي اليونسكو الأمير عبد القادر لحقوق الإنسان وثقافة السلام

منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة

كرسي اليونسكو الأمير عبد القادر لحقوق الإنسان وثقافة السلام

كرسي اليونسكو الأمير عبد القادر لحقوق الإنسان وثقافة السلام وحدة بحث دولية تم إنشاؤها بموجب الاتفاقية المبرمة في 15 جوان 2016 بين جامعة الجزائر 1 ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلم. تهدف وحدة البحث وفق المادة الثانية من الاتفاقية *"ترقية نظام منسجم من نشاطات البحث والتكوين والإعلام والتوثيق في مجال حقوق الإنسان، وثقافة السلام، وفلسفة القانون"*. وكذا *"تشجيع التبادل بين الباحثين من مستوى عال، وأساتذة ذو شهرة عالمية، من الجامعة وغيرها من مؤسسات التعليم العالي في الجزائر، وإفريقيا، والدول العربية، وأوروبا، وغيرها من مناطق العالم"*.

لتحقيق هذا الهدف، منحت المادة المذكورة للكرسي الصلاحيات التالية:

- ❖ تأليف كتاب مرجعي للخبراء في مجال حقوق الإنسان وثقافة السلام؛
- ❖ تنظيم تظاهرات علمية لإبراز مساهمة الإسلام في تعزيز ثقافة السلام وحقوق الإنسان، ونشر نتائج البحوث وأعمال الملتقيات.
- ❖ توجيه توصيات لأصحاب القرار واقتراح برامج شراكة دولية.

# معابر

مجلة دولية محكمة تصدر عن اللجنة الوطنية الجزائرية للتربية العلم والثقافة بمشاركة
كرسي اليونسكو الأمير عبد القادر لحقوق الإنسان وثقافة السلام لجامعة الجزائر 1

**المجلد 3 العدد 1 ديسمبر 2016**

"المعابر" مجلة دولية محكمة تصدر بصفة سنوية عن كرسي اليونسكو الأمير عبد القادر لثقافة السلام بالشراكة مع اللجنة الوطنية الجزائرية للتربية والعلم والثقافة.

مؤسسة سنة 2012 في إطار برنامج مشاركة اليونسكو لترقية ثقافة السلام وحقوق الإنسان، تضمّ المجلة **هيئة تحرير**، و**لجنة علمية** مكونة من خبراء وطنيين، و**لجنة استشارية** مؤلفة من باحثين دوليين من جامعات أجنبية عربية وغربية.

تهتم المجلة بالمواضيع المتعلقة بحقوق الإنسان على الصعيدي الوطني والدولي، في حالتي السلم والنزاعات؛ علاوة عن اهتمامها بالمواضيع المتعلقة بحقوق الإنسان عامة، تمنح المجلة اعتبارا خاصا للمواضيع المتعلقة بحقوق المرأة، وحماية البيئة، وحوار الأديان، وثقافة السلام والعيش معًا.

تنشر المجلة مقالات علمية باللغات الثلاثة العربية والفرنسية والإنجليزية. يشترط في المقالات الأصالة والموضوعية والالتزام بالضوابط المنهجية. ترسل المقالات إلى أمانة المجلة عن طريق الأرضية الوطنية للمجلات الجزائرية.

**مدير المجلـــة:**
د/ محمودي مراد، الأمين العام للجنة الوطنيـــة للتربية والعلم والثقافة

**مديـــر التحريـــر:**
د/ طوالبي عصام، مدير كرسي اليونسكو الأمير عبد القادر لحقوق الإنسان.

**منســق العــدد:**
أ/ قرنان فاروق، طالب باحث بالمركز الجامعي تيبـــازة.

**هيئـــة التحريـــر:**
طوالبـي عصام - بن قوية سامية - بختي موسى - قاسمي إدريس

**اللجنـــة العلميـــة:**
أ.د/ زقـــان راضيـــة، جامعة الجزائر 2
د/ جفـــال بلعيـــد، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة
د/ عاشور فطيمـــة، المركز الجامعي بتيبازة
د/ بريـك الله حبيـب، المركز الجامعي تيندوف

**اللجنـــة الاستشارية:**
د/ جوفـــروا إيريـك، جامعة ستراسبـرق (فرنسا)
د/ عبد الواحـد حورية، جامعـة باريـــس 7 (فرنسا)
د/ معروف ديب شفيقة، جامعـــة أميـــان (فرنسا)
د/ روابـح مرويـــال، المركز الوطني للبحث العلمي (فرنسا)
د/ دمـــو حميـــد، جامعـــة تولـــوز 2 (فرنسا)
د/ ميموني ناديـــة، جامعة سرجي بونتواز (فرنسا)
د/ صغيـــر يســـرى، جامعـــة منوبـــة (تونس)

**اللجنة الوطنية الجزائرية للتربيـــة والثقافـــة والعلـــوم**
قصر مصطفى باشا، 6 نهج الاستقلال، الجزائر.
الهاتف: 213.21.66.86.24+ الفاكس: 213.21.66.82.83+

**كرسي اليونسكو الأمير عبد القادر لحقوق الإنسان وثقافة السلام**
كلية الحقوق سعيد حمدين، جامعة الجزائر 1، الجزائر 16000.
الهاتف: 213.73.36.91.43+ الفاكس: 213.21.56.51.55+

**العدد الأول:** 2012
**ISSN:** 2676-2064

# توطئـــة

**د/ نورية بن غبريط**

*وزيــرة التربيــة الوطنيــة*

أبدأ كلمتي هذه بالتعبير عن شعوري الخاص، ونحن نجتمع في هذا المكان التاريخي للمكتبة الوطنية الجزائرية من أجل الاحتفال بأحد الأسماء البارزة في التاريخ الثقافي لبلادنا: ألا وهو الشيخ عبد الرحمن الثعالبي (1384-1471)؛ مع العلم أن المنظمة العالمية للتربية و الثقافة والعلوم (اليونسكو) قد اشتركت بمناسبة الفترة الثنائية (2014-2015) في الاحتفاء بالذكرى المئوية الستين لتأسيس مدرسته الثعالبية باعتبارها "القلب النابض لقصبة الجزائر ومركز الإشعاع الثقافي لبلاد المغرب". كما جاء في تقرير المؤتمر العام السابع والثلاثين المنعقد بباريس سنة 2013.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الاعتراف الرمزي الكبير، مصحوب بإضافة عَلَمين من أعلام الجزائر، وهما الشيخ أحمد بن مصطفى العلوي بمستغانم (1867-1934)، باعتباره مدرسة للتسامح والمحبة بين الأديان. حيث احتفلت اليونسكو بذكراها المئوية منذ شهر فقط بحضور 1500 شخصية من ممثلين، ووفود دولية. أما الشخصية الثانية ، فهو الشيخ عبد القادر المجاوي بتلمسان ( 1848-1914) المعروف بأنه " مدقق اللغة العربية".

بهذه المناسبة، لا يفوتني أن أتوجه بالشكر لمنظمة اليونسكو التي قبلت بإدراج الإسهامات الفكرية و الثقافية لهؤلاء الأعلام الجزائريين الثلاثة ضمن قائمة كبار الشخصيات البشرية.

كما أشكر اللجنة الوطنية الجزائرية لليونسكو التي أتشرف برئاستها، على المبادرة التي قامت بها لتسجيل أسماء هؤلاء العلماء في مدونة المنظمة العالمية، ويحق لنا الافتخار بأن الجزائر هي البلد العربي الوحيد الممثل بثلاثة شخصيات في اليونسكو.

و بطبيعة الحال لا أستطيع في هذه الكلمة القصيرة أن أتناول حياة الشيخ الثعالبي، و دوره في الإشعاع الثقافي بالجزائر. حيث أترك هذا الأمر للخبراء الذين أتوا من مختلف أنحاء الجزائر.

كما أشكر هؤلاء المختصين، وجمعية سيدي عبد الرحمن الثعالبي على الجهود من أجل ترقية التراث، و على مساهمتها في تنظيم هذه التظاهرة.

أكتفي فقط بالتنويه بعظمة هذه الشخصية التي هي من مواليد واد يسر الذي أقام أكثر من عشرين سنة بحثا عن العلم في بجاية، وتونس، والقاهرة وتركيا، و مكة المكرمة، ليفضل بعد ذلك العودة إلى أرض الوطن لخدمة بلاده ليعين قاضيا على مدينة الجزائر. رافضا كل تشريف يقدم له ومفضلا أن يهب حياته كاملة للكتابة والتعليم، وواضعا كل ممتلكاته لزاويته في خدمة المحرومين. لتعم شهرته كل بلاد المغرب. بل، وأبعد من ذلك، وفد إليه طلاب العلم من كل مكان لمتابعة دروسه في مدرسته.

وهكذا ، وكما ذكرت اليونسكو، أصبح للثعالبية تأثير عميق على أهل القصبة. حيث أستقر بها مثقفون، وأعيان، وطلبة أجانب ليكونوا بالقرب من تلك المدرسة.

وزيادة على الاحترام الذي يستحقه هذا العالم الجزائري الصوفي الجليل الذي يقال أنه ألف أكثر من تسعين مقالة، و كتابا، فإنني أقدر في الشيخ الثعالبي بصفة خاصة كفاحه في مستهل القرن الخامس عشر ، و في مجتمع محافظ، من أجل تعليم البنات. يذكر، فيما رواه شعب مدينة الجزائر أن سيدي عبد الرحمن كان يخصص التعليم في الصباح للذكور، و في المساء للبنات. وهذا ما يدل على عظمة هذا العالم، ورؤيته المشبعة بالتآخي والمحبة.

أشير في هذا الصدد، أنه بالتوازي مع احتفال اليونسكو بذكرى تأسيس المدرسة الثعالبية، تحضر وزارة الثقافة لتظاهرة علمية تكريما له في إطار قسنطينة عاصمة الثقافة العربية. كما تعتزم وزارة التربية الوطنية بدورها الشروع في برنامج كبير لإدراج المرجعيات الثقافية لبلادنا في الكتب المدرسية، وبالخصوص تلك المرتبطة بالتاريخ و بالتربية الروحية.

وبالفعل، وفي حين يحاول البعض تشويه التقاليد الدينية، بإعطاء نظرة احتقارية للمرأة، وجب علينا أن نعلم حكمة سيدي عبد الرحمن لأطفالنا الذي يعبر بوضوح عن المكانة التي أعطاها الإسلام لمفهوم المساواة بين الجنسين.

وفي الأخير، اسمحوا لي بذكر مقولة للشيخ عبد الرحمن الثعالبي : "الرجال، و النساء في ذلك على حد واحد... والمعنى أنه لا تفاوت في الثواب بين الذكر و الأنثى إذا استووا في الطاعة... الفضل في باب الدين إنما هو بالأعمال، لا بصفات العاملين لكونهم ذكرا أو أنثى".

# معابر

مجلة دولية محكمة تصدر عن كرسي اليونسكو الأمير عبد القادر لثقافة السلام
لجامعة الجزائر 1 بمشاركة اللجنة الوطنية الجزائرية للتربية والعلم والثقافة

**المجلد 3 العدد 1 ديسمبر 2016**

13 **تقديـم**
*د/ عصام طوالبي الثعالبـي*

## الجزء الأول

## سيدي عبد الرحمن الثعالبي والجزائر: رجل، مدينـة

21 **الجزائر العاصمة وقبيلة الثعالبة: تأسيس وتطـوّر مدينـة وسيطـة**
*د/ عــلاوة عمــارة*

41 **دراسة تاريخية مع العلامة عبد الرحمان الثعالبي في رحلته العلمية**
*د/ صــادق دهـــاش*

61 **مكانة شخصية الشيخ عبد الرحمن الثعالبي في العهد العثماني**
*د/ صبـاح بعارسيــة*

## الجزء الثانـي

## الشيخ عبد الرحمن الثعالبي: مدرسة شرعيـة

87 **الشيـخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التعامل مع الإسـرائيليات**
*د/ نذيـر حمـادو*

103 **وقفة مع مخطوط *الجامع الكبير* للعلامة أبي زيد عبد الرحمن الثعالبي**
*أ/ أمينـة صـاري*

117 **منهج العلامة الثعالبي في التصوف من خـــلال كتابـه "ريـــاض الصالحيـــن وتحفـــة المتقيـــن"**
*د/ حبيـب بريك الله*

## الجزء الثالث

## مقام سيدي عبد الرحمن الثعالبي: ذاكرة الجزائـر

143 **مقامات الأولياء في الموروث الشعبي الجزائري. مقام سيدي عبد الرحمان الثعالبي نموذجا : قلب ثقافة العاصمة**
*د/ عصام طوالبي الثعالبي*

173 **تصور مكانة الولي الصالح عبد الرحمن الثعالبي في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال أوقاف ضريحـه**
*أ/ مليكـة مسعـودي*

188 **مقـام سيدي عبد الرحمن وتأثيـره على الثقافة الجزائرية الأصيلة**
*أ/ بن صغير رحمـــة*

# تقديـــــم

**د/ عصام طوالبـــي الثعالبي**

*مدير كرسي اليونسكو الأمير عبد القادر*

*لحقـوق الإنســان وثقافـــة الســـلام*

**{كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ}** (النمل: 14-15)، بينما كان يمرّ بإحدى شوارع القصبة، سمع الشيخ عبد الرحمن الثعالبي أحد القراء يتلوا الآيتين السابقتين فقال: "هذا فال حسن!"، وقرر الإقامة بها. فها هو الشيخ في سن الثانية والثلاثين من العمر، بعد أكثر من خمس عشر سنة قضاها طلبا للعلم، يكُلّف قضاء الجزائر. لكنه سرعان ما تخلّى عن المنصب لاختياره طريق الزهد والعبادة وتعليم الناس، إلى أن أدركته المنية في 23 رمضان سنة 875هـ/ 1471م.

عالم جليل وزاهد حكيم، كرّس الشيخ حياته لخدمة الفقراء، للذكر والفكر، للعلم والتدوين. كان مبجّلا لدى العامة والخاصة من سكان العاصمة، حتى لقبه بعض المتأخرين "بسلطان الجزائر". ولا يخفى على أحد أن ضريحة المتواجد في أسفل حي القصبة بالجزائر ، لا يخلو إلى يومنا من الزوار الوافدين من شتى أنحاء الوطن، في حين ينسب أبناء العاصمة أنفسهم إلى هذا الولي الصالح حيث يعتبرونه بمثابة أب روحي: "أولاد سيدي عبد الرحمن".

فإحياء لذكرى هذا العلامة الجزائري بمناسبة إعلان منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم في جمعيتها السابعة والثلاثين المنعقدة في شهر نوفمبر 2013، الاحتفال بالمئوية السادسة لإنشاء زاوية الثعالبي بمثابة *"قلب قصبة الجزائر ومركز إشعاع ثقافي في المغرب العربي"*، بادرت جمعية سيدي عبد الرحمن الثعالبي لترقية التراث، بمشاركة اللجنة الوطنية الجزائرية للتربية والعلم والثقافة، بتنظيم متقى انعقد في 28 من شهر نوفمبر 2015 في المكتبة الوطنية الجزائرية.

إن هذا الملتقى الذي حظي بحضور معالي وزير الشؤون الدينية والأوقاف ووزيرة التربية الوطنية بصفتها رئيسة اللجنة الوطنية الجزائرية لليونسكو، بالإضافة إلى عدد من الشخصيات الوطنية والدولية، أبرزها الدكتور جمال أبو الهنود مدير إذاعة القرآن الفلسطينية، والشيخ مصطفى سيريك مفتي ديار الكوسوفو، والدكتور عبد الرزاق قسوم رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والأستاذ خالد بن تونس شيخ الطريقة الشاذلية الدرقاوية العلاوية، كانت هذه التظاهرة العلمية مناسبة للتوقف مع حياة وإنجازات الشيخ الثعالبي، وتقدير مدى تأثيرها على الفكر الإسلامي المغاربي عامّة، والحفل المعرفي لمدينة الجزائر خاصة.

"جزائر بني مزغنة" التي بدأت تسميتها تتجلى في النصوص الجغرافية والتاريخية في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (10 م)، والتي يُبرز الدكتور علاوة عمارة مراحل تطورها من "مدينة القبيلة" إلى "مدينة الإمارة-الدولة"، مركّزا على دور الثعالبة - أجداد الثعالبي - بعد تمكّنهم من الاستحواذ على سهول متيجة، في انتقال الجزائر إلى نمط "المدينة-الدولة" المستقلّة عن الكيانات السياسية المتواجدة آنذاك في بلاد المغرب. استمر حكم الثعالبة إلى غاية بداية القرن 10 هـ/ 16م، وتناسب انتهاؤه مع ارتباط روحية المدينة بالسلطة الكاريزماتية لأحد العناصر الثعالبية: الولي عبد الرحمن الثعالبي "القطب الرباني"؛ فها هي الجزائر تتحول إلى حضيرة علمية بعدما كانت مجرد "محطّة على الطريق الساحلي الرابط بين فاس في المغرب الأقصى ومدينة تونس حاضرة الحفصيين".

يتعمق الدكتور دهاش الصادق في إبراز معالم البيئة الثقافية لمدينة الجزائر في عصر سيدي عبد الرحمن، وذلك من خلال دراسة تاريخية لحياة العلامة ورحلته في سبيل العلم، بعد إبرازه لمولد الثعالبي، ونشأته، ومحطات رحلته العلمية (بجاية، تونس، مصر...)، وإجازات شيوخه، يتوصل الباحث للقول "بأن الشيخ عبد الرحمن الثعالبي كان موسوعة، عالما بعلمي المعقول والمنقول، مترجم يتسم بالحفظ والذكاء فجمع بينهما، كما كان من القلائل الذين استثمروا أوقاتهم في الجد والاجتهاد نافعا ومنتفعا، مؤثرا ومتأثرا، قام بتصحيح كثير من المفاهيم والقضايا الخطيرة التي كانت تمر بها الأمة الإسلامية".

ندرك من هنا لماذا كان الثعالبي في العهد العثماني، كما تذكرنا بذلك الدكتورة بعارسية صباح، لقد "ساندت السلطة العثمانية في الجزائر، طيلة ثلاثة قرون ونيف، زاوية الثعالبي لكونها بعاصمة الدولة، ولكون الثعالبي نفسه من أبناء المنطقة". بالفعل، و"رغم أن أشهر الزوايا كانت تابعة لطريقة صوفية معينة، فإن زاوية الثعالبي بمدينة الجزائر لم تكن تابعة لأي طريقة صوفية، إذ لم تكن الزاوية مقرا لأي طريقة صوفية، وكان مقرها ضريح الولي، أين تنعقد الحضرة. وقداسة الضريح لا تعود فقط لاهتمام باشاوات الجزائر بالضريح، بل لكثرة زواره؛ من مظلومين، ونساء باحثات عن مساعدة على متاعب الحياة".

تؤكد الأستاذة مليكة مسعودي هذه الفكرة حيث تضيف أن سيدي عبد الرحمن كان "مبجلا من قبل الوجهاء، و محترما و معظما، يلتمسون منه الدعاء الصالح، ويقتدون به في دينهم ودنياهم، لهذا السبب بنوا له الضريح [الذي] حظي بمكانة مرموقة في نفوس الجزائريين". وبعد دراسة دقيقة لوثائق الأوقاف التي كانت تخصص لضريح الثعالبي من طرف محبسين من أصناف اجتماعية متباينة (أصحاب الحرف والوظائف، أفراد الجيش، النساء...)، تشمل ممتلكات متنوعة (دور، بساتين، حوانيت، مخازن...)، تستنتج الباحثة أن شهرة ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي "تعدّت حدود الجزائر لتصل إلى بلدان أخرى من المغرب الكبير وإفريقيا، خاصة تونس التي كانت تبعث بحمولة من الزيت كل عام".

بعد دراسة الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لضريح الثعالبي، تتعمّق الأستاذة بن الصغير رحيمة، بواسطة مقاربة اجتماعية ونفسانية صارمة، في الجوانب الأنتروبولوجية للمقام؛ مبتدئة بمحاولة تحديد الامتداد التاريخي لظاهرة زيارة الضريح، مرورا بقراءة سوسيولوجية لشخصية عبد الرحمن الثعالبي، ووصف دقيق للحياة الثقافية والدينية الأصيلة في القصبة، للوصول إلى إبراز دور الأسطورة في التربية التقليدية لتنشئة الطفل على توقير الأولياء وتبجيل الصالحين، ومساهمة الطقوس المنعقدة في مقام الثعالبي (المولد النبوي، إحياء ليلة السابع والعشرين من رمضان، زفة العروس...) في هيبة المكان. ندرك من هنا، لماذا لقبت مدينة الجزائر "بالمحروسة"، حيث "ارتبط مفهوم الحراسة والحماية والضمان بضريح

عبد الرحمن الثعالبي، والذي يعدّ رمز الجزائر العاصمة وبركتها في المخيلة الشعبية".

لكن سيدي عبد الرحمن ليس مجرد ضريحا أو وليا صالحا يُتبرّك بزياته: مشهور عند علماء وقته بلقب "حجة علم الحديث"، إن الشيخ الثعالبي، على حد تعبير الإمام محمد التنبكي (ت. 1036هـ/ 1627م)، "ممن اتفق الناس على صلاحه وإمامته". فبينما وصفه إمام المحدثين ولي الدين العراقي (ت. 862هـ/ 1422م) "بالشيخ الصالح الفاضل الكامل المحرر"، لقّبه الحافظ السخاوي (ت. 902هـ/ 1496م) "بالإمام العلاّمة المصنّف"، ورأى فيه العلامة أبو الفيض الكتاني (ت. 1327هـ/ 1909م) "بركة الجزائر عالمها ومسندها".

علاوة عن تمكّنه من علم الحديث، لا شك أن المجال الشرعي الذي تفوّق فيه الثعالبي هو التفسير، كما يشهد على ذلك كتابه الشهير "الجواهر الحسان في تفسير القرآن". ذلك التفسير الذي يحاول الدكتور نذير حَمَـادُو إبراز أحد جوانبه: منهجية التعامل مع الإسرائيليات. فبعد إبراز مسلك الثعالبي في معالجة أخبار أهل الكتاب، منهج تاريخي قائم على تحقيق النّصوص ونقدها منهج أصيل ورثه من المفسرين المغاربة كالقاضي أبي بكر بن العربي ( ت 543هـ/1148م )، والقاضي عياض ( ت 544 هـ/1149م)، وعمدةِ المتأخرين أبي محمدٍ بنِ عَطِيَّةَ ( ت 546 هـ/1151م)، يصل الباحث إلى الخلاصة أن الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي "رفض الإسرائيليات التي لا تقوم على سند صحيح واعْتَبَرَهَا ضَرْباً من الخيالات وَضَرْباً من الأوهام؛ فهي داحضة لأن أصلها لَحِقَهُ التحريف والتبديل. وانطلاقا من هذه الحقيقة رَدَّهَا، وأنكرها، وتعقَّبَهَا، وحَذَّرَ منها، وفَنَّدَ مزاعِمَها على ضوء الدليل النقلي والعقلي، وَلاَمَ بعضَ المفسرين الذين شَحَنُوا تفاسيرَهم بها".

بعد اكتشافنا لصورة "الثعالبي المفسّر"، يعرفنا الدكتور حبيب بريك الله من المركز الجامعي لتندوف بجانب آخر من جوانب شخصية سيدي عبد الرحمن: الصوفي. بعد تذكيره القارئ بأن علم التصوف والوعظ من بين أكثر الفنون التي خاض فيها علماؤنا وأسلافنا، يعرفنا المؤرّخ محقّق مخطوط *رياض الصالحين وتحفة المتقين* بمنهجية الثعالبي الصوفي في التعامل مع المصادر؛ فعلاوة "اليقظة

العلمية" التي تحلى بها العلامة الجزائري في التعامل مع الروايات والقصص وغيرها من منابع التوثيق، إن رسالة الثعالبي تبرز بتعدد المواضيع التي تحتويها (الزهد، الوعظ، الحديث، أحوال الموتى، أهوال يوم القيامة...)، تمكن الشيخ عبد الرحمن من علوم شتى، خاصة منها علم الطبقات وما تعلق بأولياء الله وأحوالهم وقصصهم وحكاياتهم مع غيرهم، "فلم يترك العلامة الثعالبي رحمه الله من إشارة ولا فائدة ولا لطيفة إلا وأشار إليها بغية أن تعمّ الفائدة ويتّضح المعنى".

يبدو أن الثعالبي قد تحلى بنفس الدقة المنهجية في التعامل مع المصادر التاريخية في مخطوط *الجامع الكبير*، والذي تحاول الأستاذة أمينة صاري الإحاطة بأهم جوانبه الشكلية والموضوعية. لا يسعنا إلا موافقة الباحثة في قولها بأن هذا المخطوط الذي فرغ صاحبه من كتابته في أواخر شهر محرّم عام 847هـ/ 1443م "من بين أنفس ما ألّفه الثعالبي بسبب محتواه القيّم إذ أنّ به أكثر من مائة ترجمة لفقهاء مالكيّة، إضافة إلى رحلة الثّعالبي العلميّة، والإجازات التي تحصّل عليها من شيوخه".

لم يسعنا ختم هذا التأليف الجماعي دون محاولة الإحاطة بجانب آخر من جوانب شخصية الثعالبي: الفقيه المجتهد. بالفعل، وعلاوة عن تفوّقه في الحديث والتفسير والتصوف، كان سيدي عبد الرحمن فقيها على أصول الإمام مالك، مجتهدا في المذهب على ضوء تمكنه من الفقه المقارن، خاصة فقه أبي حنيفة والشافعي.

تلك بعض الجوانب العلمية من شخصية الثعالبي الثرية والموسوعية التي وردت في هذا العدد الخاص من مجلة "المعابر". وإن كانت هذه الجوانب قد حظيت بالدّراسة، فلا تزال باقي الأبواب بحاجة إلى اهتمام الباحثين والدّارسين، ورغم الجهود المعتبرة المقدمة في السنوات الأخيرة من أجل تحقيق تراث العلامة الجزائري، لا شك أن جزءا كبيرا من إنتاجه الفكري لا يزال بحاجة إلى تحقيق، خاصة في مجال التاريخ مع مخطوط *جامع الهمم في أخبار الأمم*. فلا يسعنا سوى تشجيع جمعية سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وغيرها من الجمعيات والمؤسسات العاملة في مجال المحافظة على التراث، على إبراز وترقية مؤلفات الشيخ الثعالبي.